

لقد عزا النبي صلى الله عليه وسلم تصرف عائشة رضي الله عنها إلى الغيرة وقام صلى الله عليه وسلم بجمع الإبناء المكسور وأعاد الطعام فيه وأبقى لها الإبناء الذي كسرتَه وأرسل بإبناء عائشة رضي الله عنها السليم إلى أم المؤمنين التي كُسر إناؤها معللاً فعله هذا بقوله كما روى المترجمي: طَعَامُ بَطِّعَامٍ وَإِنَاءُ بِنَاءٍ وَأَمْرُ الْحَاضِرِينَ بِأَنْ يَأْكُلُوا الطَّعَامَ فَأَكَلُوهُ وَانْتَهَى الْمَوْقِفَ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ وَذَلِكَ لِحِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال ابن حجر: قوله: غَارَتِ أُمَّكُمْ اِعْتِدَارٌ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَثَلَا يُحْمَلُ صَنِيعُهَا عَلَى مَا يُذَمُّ بَلْ يَجْرِي عَلَى عَادَةِ الْمَضَائِرِ مِنَ الْغَيْرَةِ فَإِنَّهَا مَرْكَبَةٌ فِي النَّفْسِ بِحَيْثُ لَا يُقَدَّرُ عَلَى دَفْعِهَا وَفِي الْحَدِيثِ حَسَنُ خَلْقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْصَافُهُ وَحِلْمُهُ وَقَالَ: فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى عَدَمِ مَوْأَخِذَةِ الْغَيْرَةِ بِمَا يَصْدُرُ مِنْهَا لِأَنَّهَا فِي تِلْكَ الْحَالَةِ يَكُونُ عَقْلُهَا مُحْجُوبًا بِشِدَّةِ الْغَضَبِ الَّذِي أَثَارَتْهُ الْغَيْرَةُ وَقَالَ الطَّبِيبِيُّ: إِنَّمَا أَبْهَمَتِ عَائِشَةُ تَضَخِيمًا لِشَأْنِهَا وَإِنَّهُ مِمَّا لَا يَخْفَى وَلِمَا يَلْتَبَسُ أَنَّهَا هِيَ لِأَنَّ الْهَدَايَا إِنَّمَا كَانَتْ تَهْدِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا.

*غيرة عائشة رضي الله عنها

ليس هذا هو الموقف الوحيد لأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي غَيْرَتِهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لِيَلَّا، قَالَتْ فَغَرَّتْ عَلَيْهَا فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ مَا لَكَ يَا عَائِشَةُ أَغَرَّتْ. فَقُلْتُ وَمَا لِي لَأِي غَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْدَحَاءُكَ شَيْطَانُكَ. قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْعِي شَيْطَانُكَ قَالَ نَعَمْ. قُلْتُ وَمَعَكُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ قَالَ نَعَمْ. قُلْتُ وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ وَلِكُنْ رَبِّي أَعَانَ نِيَّ عَلَى مَا حَتَّى أَسْلَمَ.

وهي المقاتلة رضي الله عنها: ما غرَّتْ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غَرَّتْ عَلَى خَدِيجَةَ وَلَقَدْ ذَهَلَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلَاثِ سِنِينَ لَمَّا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا. وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ أَنَّهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا غَارَتْ مِنْ حَسَنِ ثَنَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشَّدَقِ قَدْ أَبْدَلْتُكَ الْمَلْهَ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا قَالَ: مَا أَبْدَلْتُكَ الْمَلْهَ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا قَدْ أَمَنْتَ بِبِي إِذْ كَفَّرَ بِي النَّاسُ وَصَدَقْتَ نِيَّ إِذْ كَذَبَنِي النَّاسُ وَوَأَسْتَنْيَ بِمِالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ وَرَزَقَنِي الْمَلْهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النَّسَاءِ.

الغيرة شعور طبيعي وصحّي بين الزوجين ولكنها عندما تتجاوز حدودها الطبيعية تؤدي إلى مشكلات وآثار سلبية تنعكس على أفراد الأسرة جميعاً ومن ثم تتطلب من الزوج الحكمة والحلم وحسن الخلق وقدوتنا في ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم الذي وسع خُلُقُهُ الكريم مواقف غيرة بعض زوجاته وكان حاله معهن يعذرهن وينصف بعضهن من بعض من غير قلق ولا غضب وموقفه صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: غَارَتِ أُمَّكُمْ هُوَ خَيْرٌ شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ دَلَالَةٍ عَلَى صَبْرِهِ عَلَى طَبِيعَةِ الْغَيْرَةِ الْمَتَأَصِّلَةِ فِي الزَّوْجَةِ وَعَدَمِ مَوْأَخِذَةِ الزَّوْجَةِ الْغَيْرِيَّ وَإِحْسَانِ الظَّنِّ بِهَا وَتَحْمَلِ مَا يَصْدُرُ مِنْهَا وَعِلَاجِهِ لِلْأَمْرِ بِرِفْقٍ وَحِلْمٍ وَتَقْدِيرِهِ لِمَا يَسْتَتِرُ خَلْفَ الْغَيْرَةِ مِنْ حُبِّ صَادِقٍ وَكَلَامٍ لَهُ فِي قَلْبِ زَوْجَتِهِ.